НОЧЬ ПЕРЕД СУДОМ

ليلة المحكمة

ترجمة
نادية سلطان

ليلة المحكمة

شخصيات المسرحية

فيودر نيكيتيتش جوسيف : شخص جدير بالاحترام

زينوتشكا[1] : زوجته الشابة .

ألكسى اليكسييتش زايتسف : عابر سبيل .

يجرى الحدث فى محطة بريد[2] فى إحدى ليالى الشتاء الباردة

محطة البريد . غرفة معتمة ، ذات حوائط يغطيها السخام ، وبها أرائك كبيرة الحجم، المغطاة بالمشمع .

مدفأة من حديد الزهر ذات مدخنة تمتد عبر الغرفة كلها.

زايتسف (يحمل حقيبة سفر) ، وناظر المحطة (يحمل شمعة).

زايتسف : ياسنيور ، عندك هنا رائحة كريهة ! الجو خانق ! تنبعث رائحة الشمع الأحمر النتنة ، وأشياء أخرى أصابها العفن الفظيع ، المكان ملئ بالبق ... تفو ...

ناظر المحطة : لا يمكن تفادى هذه الرائحة.

زايتسف : أرجو أن توقظنى غدًا فى تمام الساعة السادسة ... وتجهز لى عربة بثلاثة خيول ... كى أستطيع الوصول إلى المدينة فى حوالى الساعة التاسعة .

ناظر المحطة : حسناً ...

زايتسف : كم الساعة الآن؟

ناظر المحطة : الساعة الواحدة والنصف... (يخرج) .

زايتسف : (وهو يخلع معطف الفرو الذى يرتديه ، وأيضا حذاءه ذا الرقبة الطويلة من اللباد) اليوم الدنيا برد! إنى مذهول من شدة البرد... ينتابنى الآن شعور ، كما لو كانوا قد أحاطونى بالثلج ، ثم صبوا علىَ الماء ، وضربونى ضربًا مبرحا ... يا لها من كتل ركام ثلجية ، يا لها من عاصفة ثلجية شديدة مثل الثعبان السام، ويبدو لى إذا مكثت ولو لخمس دقائق فى الهواء - فسوف أهلك. لقد عانيت ، لكن ما سبب ذلك؟ ربما أتحمل هذه المعاناة لو ، سافرت مثلاً لموعد لقاء ، أو للحصول على ميراث ، ولكن فى الواقع فإنى أسافر لملاقاة حتفى... التفكير فى هذا شيء مريع.... غداً فى المدينة سوف تعقد جلسة بمحكمة المقاطعة، وسأنطلق إلى هناك بصفتى متهماً . وسيتم محاكمتى بسبب محاولة الزواج باثنتين ، وبسبب تزوير وصية جدتى التى تقدر بأكثر من ثلاثمائة روبل ، وأيضا بسبب محاولة إغتيال المسجل الذى يحصى النقاط فى لعبة البلياردو . إن هيئة المحلفين سوف تقبض على - ليس فى هذا أدنى شك . اليوم أنا هنا ، وغداً مساءً سأكون فى السجن ، وخلال نصف عام سأكون فى مجاهل برارى سيبريا الباردة ... بررر !

وقفة قصيرة

غير أنَّ لدىَ مَخرجًا من هذا الوضع المفزع . نعم يوجد مخرج! ففى حالة إذا ألقى المحلفون القبض على ، فسوف ألجأ إلى صديقى القديم ... الصديق الوفىَ الذى يُعتمد عليه! (يُخرج من حقيبة السفر مسدسًا كبيرًا) . ها هو! يا لك من ولد ؟ لقد قايضته بكلبين من تشبراكاف . يا له من شئ رائع! حتى إذا انتحرت بإطلاق الرصاص منه على نفسى فسوف أحقق متعة على نحو ما.. (يقول برقة) يا ولد ، هل أنت محشو بالطلقات؟ (بصوت رقيق كما لو كان يجيب عن المسدس) محشوًا بالطلقات... (بصوته الحقيقى) وهل تطلق الرصاصة بصوت عالٍ حتى تسمع فى كل أرجاء ميدان إيفانوفسكى[3] ؟ (ثم يقول بصوت مرهف) فى كل أرجاء ميدان إيفانوفسكى ... (بصوته الحقيقى) آه يا إلهى ، يا لك من ساذج ، ... هيا إلزم الفراش ، ونم ... (يقبل المسدس و يخفيه فى حقيبة السفر) مجرد أن أسمع كلمة « أجل ، أنت مدانَ » ، فى التو واللحظة سوف أصوب المسدس وأطلق رصاصة مدوية فى جبينى وكفى ... ها أنا أشعر بالبرد الشديد ... بررر! يجب علىَ أن أتدفأ وأحمى جسمى من البرد القارس ... (يقوم ببعض التمرينات الرياضية باليد ويثب بالقرب من المدفأة) بررر!

تطل زينوتشكا من الباب وفى الحال تتوارى

ما هذا؟ يبدو أن شخصًا ما يتطلع من هذا الباب ... ممم ... نعم ، إن أحدًا يتطلع ... هذا يعنى ، أنه يوجد عندى جيران؟ (يتنصت من وراء الباب) لا يترامى إلى سمعى شيء ... هدوء تام ... لابد وأن يكون هنا أشخاص مسافرون آخرون .... سيكون كل شيء على ما يرام إذا تم إيقاظهم ، ويا حبذا لو كانوا أناسًا محترمين ، فمن الممكن الجلوس معهم ، ونلعب الكوتشينة ... وسألعب وأحقق فوزًا ساحقًا بدون ورقة الآس! إنها لقصة ممتعة ، يا عينى علىَ ... من الأفضل أن تكون امرأة . لا ضير فى أن أعترف ، بأننى لا أحب مغامرات السفر ... فى بعض الأحيان تسافر وتتعرض لمغامرة غرامية ، تلك التى لا يمكن أن تجدها عند قراءة قصص تورجينف[4]... أتذكر ، تمامًا ما حدث بهذه الصورة عندما سافرت ذات مرة عبر محافظة سامارا . توقفت فى محطة بريد ... وكان قد حَلَ الليل . تخيلوا على الفور بدأ صرير صرصار الليل فى المدفأة ، حيث كان يسود الهدوء ... وها أنا ذا أجلس إلى المنضدة وأشرب الشاى ... وفجأة أسمع خشخشة خفية ... ويُفتَح البابُ و...

زينوتشكا : (من خلف الباب) هذا مثير للاستياء! لم أر فى حياتى مثلما أرى هنا! هذه ليست بمحطة ، ولكنها شيء قبيح! (وهى تطل من الباب ، وتصرخ) يا ناظر! يا ناظر المحطة! أين أنت؟

زايتسف : (ينظر ناحيتها) يا لها من فاتنة! (ويقول لها) سيدتى ، ناظر المحطة غير موجود . هذا الجلف ينام الآن . ماذا تريدين؟ هل تحتاجين لخدمة ما؟

زينوتشكا : إنه لشيء فظيع ، فظيع! البق ، ربما البق يرغب فى أن يلتهمنى!

زايتسف : هل هذا صحيح؟ بق؟ آه ... كيف يتجاسر البق على فعل هذا؟

زينوتشكا : (من خلال الدموع) . باختصار ، هذا شيء فظيع! سأرحل الآن! من فضلك أخبر هذا الناظر السافل ، بأن يجهز عربة الخيول! فالبق مص كل دمى!

زايتسف : مسكينة! كم أنت جميلة ، لم أكن أتوقع هذا الجمال ... لا ، هذا مستحيل!

زينوتشكا : (تصرخ) أيها الناظر!

زايتسف : سيدتى ... mademoiselle...

زينوتشكا : أنا لست mademoiselle ، بل سيدة متزوجة ...

زايتسف : وهذا لحسن حظى ... (يتجه نحوها) يا عزيزتى (متحدثًا لها) أود أن أقول إننى لم أتشرف بمعرفتك بعد يا سيدتى ، وبإسم حضرتك وكنية والدك ، وبالتالى سأكون ممتننًا لك ، وكإنسان سوى هل يمكن أن أتجرأ وأعرض عليك مساعدتى ... وأستطيع أن أقدم لك يد المساعدة بحل المشكلة التى تعانى منها .

زينوتشكا : كيف؟

زايتسف : إننى اعتدت على شيء رائع - فأنا دائمًا أحمل معى مبيد للحشرات ... اسمحى لى أن أقدمه لك من صميم قلبى ، ومن صميم فؤادى !

زينوتشكا : آه ، من فضلك!

زايتسف : فى هذه الحالة أنا الآن ... لحظة واحدة ... سأحضره لك من حقيبة السفر (يسرع مندفعًا إلى حقيبة السفر يبحث فيها عن مبيد الحشرات) يا لها من عيون جميلة ، وأنف صغيرة ... ستكون مغامرة غرامية رائعة! يساورنى حس داخلي! (يفرك يداه) كم أنا سعيد الحظ ، على الرغم من أنى تورطت بتواجدى فى هذه المحطة ، إلا إنها ستكون مغامرة غرامية ... كم هى جميلة ، إلى درجة أن الشرر يتطاير من عينى ... ها هو المبيد! (يعود نحو الباب) ها هو ينقذك .

تمد زينوتشكا يدها من خلف الباب

لا ، اسمحى لى أن آتى إلى حجرتك وأرش المبيد بنفسى ...

زينوتشكا : لا ، لا ... هل يعقل أن تأتى إلى حجرتى؟

زايتسف : لماذا هذا من المستحيل؟ ليس هناك شيء يدعو للغرابة ، ولا سيما... وأنا طبيب ، فالأطباء ومصففو شعر السيدات لهم حق التدخل فى الحياة الخاصة.

زينوتشكا : لا تخدعنى ، هل أنت فعلاً طبيب؟ بجد؟

زايتسف : نعم ، بشرفى!

زينوتشكا : حسنًا ، وإذا كنت فعلاً طبيبًا ... لماذا تكلف نفسك هذا العناء؟ سأرسل لك زوجى ... فيديا! فيديا! حسنًا اضح ، يا أحمق.

صوت جوسيف «ماذا؟»

تعال إلى هنا ، ها هو دكتور لطيف للغاية ، أبدى استعداده لتقديم مبيد للحشرات لنا . (تتوارى).

زايتسف : فيديا! شكرا ، لم أكن أتوقع! أنا لست بحاجة إلى هذا الفيديا! فليذهب إلى الجحيم إلى الأبد! ما كدت أن أتعرف عليها كما ينبغي ، إلا أنْ يصابَ هذا النجاح بالفشل ، ويقولوا عنى الدكتور ، وإذ فجأة يظهر هذا الفيديا ... وكأنما صب علىَ ماء بارد ... من الأفضل ألا أعطى لهم مبيد الحشرات! كما أنه ليس بها شيء من الجمال ... حتى أن وجهها قبيح ليس فيه شيء يجذب أحدًا إليه وهى بيْن بيْن ... وأنا لا أطيق تلك النساء!.

جوسيف : (يرتدى روب دى شمبر ، وطاقية) لى الشرف أن أحييك ، يا دكتور... زوجتى قالت لى فى التو ، إنَ لدى سيادتك مبيد للحشرات .

زايتسف : (فى غلظة) نعم يا سيد !

جوسيف : من فضلك ، هلا قدُمت لنا معروفًا وتعيرنا قليلاً منه . فأنت خبير فى هذا الأمر ...

زايتسف : تفضل !

جوسيف : نشكرك شكرًا جزيلاً ... ممنون لكم كثيرًا . هل باغتتك العاصفة الثلجية فى الطريق؟

زايتسف : نعم !

جوسيف : نعم يا سيدى ... كانت عاصفة سيئة للغاية ... إلى أين تعتزم السفر؟

زايتسف : إلى المدينة.

جوسيف : ونحن أيضًا سنذهب إلى المدينة . غداً ينتظرنى فى المدينة عمل شاق ، لذا يجب علىَّ الآن أن أخلد للنوم ، وبعبارة دارجة، فلا طاقة لى على تحمل ذلك ... فى الواقع عندنا محطات بريد شنيعة وسيئة للغاية . فضلاً عن البق ، والصراصير ، وجميع أنواع العقارب ... لو كانت السلطة فى يدى ، لقدمت جميع نظار المحطات إلى المحاكمة بسبب البق وفقًا للمادة مائة واثنتي عشرة من قانون العقوبات ووفقًا لقوانين المصالحة التى تفرض الغرامات المالية على الماشية الضالة . أشكرك يا دكتور شكرا جزيلاً ... قل لى لو سمحت أى الأمراض تعالج؟

زايتسف : أعالج أمراض الصدر ... وأيضًا آلام الرأس .

جوسيف : هكذا يا سيدى ... تشرفت بمعرفتك ... (يخرج) .

زايتسف : (بمفرده) . يا له من شخص هزيل الجسم مثل خيال المآتة! لو كان فى مقدورى لغمرته من أعلى رأسه لإخمص قدميه فى مبيد الحشرات . من الممكن أن أفوز ، على ذلك الوغد فى لعب الكوتشينة عشر مرات على التوالى دون أن يربح ولو مرة ! أو من الأفضل لو لعبت معه البلياردو لضربته بعنف دون قصد بعصا البلياردو ، كى تبقى فى ذاكرته طوال الأسبوع ... وبدلاً من أن يكون له أنف سيكون عنده كوز، وأجعل فى كل وجهه كدمات زرقاء ، وفى جبينه أجعل كثيرًا من البثور و.... وفجأة كيف يحق له أن يكون لديه زوجة رائعة الجمال! بأى حق؟ شيء مثير للاستياء! لا ، منتهى السفالة ... ثم يتساءلون لماذا لدىَّ نظرة كئيبة عن الحياة ؟ نعم ، وكيف بذلك لا أكون متشائما؟

جوسيف : (عند الباب) . أنت ، يا زينوتشكا لا تخجلى ... فهو طبيب! إسأليه بدون تكلف ... لا سبب للخوف ... فإن شيرفيتسوف لم يساعدك فى العلاج ، أما هو فمن الممكن أن يساعدك ... (متحدثًا إلى زايتسف) أرجو المعذرة ، يا دكتور ، على إزعاجك ... قول لى من فضلك ، ما سبب أن زوجتى تعانى من ضيق التنفس فى الصدر؟ دائمًا لديها سعال ، هل تعرف ... لماذا تشعر بضيق التنفس هذا ، بتعبير أدق ، هل تعرف شيئًا عن سبب الجفاف ... ما سبب هذا؟ .

زايتسف : هذا حديث يطول شرحه ... من المستحيل تحديد هذا الآن ...

جوسيف : حسنًا ، ماذا تفعل؟ مازال هناك وقت ... ولا داعى للنوم الآن فبالنسبة لنا فالأمر سيان . فبإمكانك أن تكشف عليها يا عزيزى !

زايتسف : (وهو ينظرجانبًا) ها أنا ذا وقعت فى ورطة!

جوسيف : (وهو ينادى بصوت عالٍ) زينا! آه ، أنت على حق ... (متحدثًا له) إنها تستحى ... خجوله ، مثلى تمامًا ... فالفضيلة شيء جيد ، ولكن لماذا المغالاة فيها؟ فكيف ينبغى أن تستحى من الطبيب، عندما تكون مريضًا ، هذا آخر شيء تفكر فيه ...

زينوتشكا : (تدخل) حقًا ، أنا أشعر بالخجل ...

جوسيف : كفى ، كفى ... (متحدثًا إليه) يجب عليكم أن تضع فى الاعتبار ، أن الدكتور شيرفيتسوف يعالجها . صحيح هو إنسان طيب ، روحه مرحة ، يعرف عمله جيدًا ، ولكن ... من يدرى بما يفعله ؟ أنا لا أثق فيه! لا يرتاح قلبى له ، ولا أبالى! إننى أرى ، يا دكتور ، بأنك لست على استعداد للكشف عليها ، ولكن ، من فضلكم اعمل لى معروفًا!

زايتسف : أنا ... أنا ليس لدى مانع لأقوم بهذا ... لا بأس ... (وهو ينظر جانبًا) الوضع يتطلب هذا!

جوسيف : من فضلك اكشف عليها ، فى الوقت الذى سوف أذهب إلى ناظر المحطة وآمره بتجهيز الساموار لإعداد الشاى ... (يخرج) .

زايتسف : من فضلك اجلسى ، تفضلى ...

يجلسان

كم تبلغين من العمر؟

زينوتشكا : اثنتان وعشرون سنة .

زايتسف : ممم ... سن خطير . من فضلك اسمحى لى بأن أجس النبض ! (يجس النبض) ممم ... حسنًا ، نعم ...

وقفة قصيرة

لماذا تضحكين ؟

زينوتشكا : لا تخدعنى حضرتك ، هل أنت حقًا طبيب ؟

زايتسف : شيء غريب! إنك مازلت تسألين! حضرتك فكرانى مين ! ممم ... النبض لا بأس به ... يا لها من يد صغيرة ، بدينة ... يا نهار أبيض، أنا أحب مغامرات السفر! تسافر ، تسافر وفجأة ترى مثل هذه اليد ... سيادتك تحبين الطب؟

زينوتشكا : نعم .

زايتسف : ما أطيب هذا! عظيم جدًا! اسمحى لى لقياس نبض حضرتك!

زينوتشكا : لكن ، لكن ، لكن ... إلزم حدودك!

زايتسف : يا له من صوت ناعم ، وعيون تبدو عليها ملامح الاضطراب ... ابتسامة واحدة منها ممكن أن تفقد صوابك ... هل زوجك غيور؟ جدًا؟ نبضك ... نبضة واحدة فقط وأموت من السعادة!

زينوتشكا : عفوًا يا سيدى المحترم ... عفوًا سيدى المحترم! أنا أرى ، أنك تشتبه فى أمرى .. أنت تخطئ فى هذا ، يا سيدى الكريم! أنا سيدة متزوجة ، وزوجى يشغل وضعًا اجتماعيًا مرموقًا .

زايتسف : أعرف ، أعرف ، لكن هل أنا مخطئ ، بأن أعبر لكِ عن أنك جميلة؟

زينوتشكا : وأنا ، يا سيدى المحترم ، لن أسمح لك ... لو سمحت اتركنى وشأنى وإلا سأتخذ تدابير أخرى ... يا سيدى الكريم! أنا أحب وأحترم زوجى جدًا ولن أسمح لأى مسافر وقح أن يتحدث معى بابتذال ... سيادتك مخطئ تمامًا ، إذا كنت تعتقد بأننى ... ها هو زوجى قادم ... نعم ، نعم إنه قادم ... لماذا التزمت الصمت ماذا تنتظر ... ؟ لا ... إيه إيه أتريد أن تقبلنى !

زايتسف : يا عزيزتى . (يقبلها) يا طعمة ! يا أمورة ! (يقبلها) .

زينوتشكا : لكن ، لكن ، لكن ...

زايتسف : يا صغيرتى ... (يقبلها) يا دلوعة ... (يرى جوسيف يدخل) سؤال آخر: متى تصابين بنوبة السعال؟ فى أيام الثلاثاء أم فى أيام الخميس؟

زينوتشكا : فى أيام السبت ...

زايتسف : ممم ... اسمحى لى أن أجس نبض حضرتك!

جوسيف : (وهو ينظر جانباً) كما لو كان هناك تبادل للقبلات ... تماماً كما كان يحدث عند الدكتور شيرفيتسوف ... لا بأس فأنا لا أفهم فى الطب ... (متحدثاً إلى زوجته) زينوتشكا كونى أكثر جدية ... هكذا مستحيل ... من المستحيل أن تهملى فى صحتك هكذا! عليك أن تصغى بدقة إلى كلام الدكتور . الآن يتقدم الطب بخطى عظيمة إلى الأمام! خطوات عظيمة!

زايتسف : أيوه ، نعم! كما ترى ، يجب أن أقول لسيادتك ... صحة زوجة سيادتك لم تدخل مرحلة الخطر بعد ، ولكن إذا لم تعالج بجدية، فمرضها هذا من الممكن أن ينتهى بصورة سيئة: فمن الممكن أن تصاب بسكته قلبية أو التهاب فى المخ ...

جوسيف : كما ترى ، يا زينوتشكا! كما ترى ! لابد من الاهتمام والعناية بك ... فأنا لم أكن أهتم بك فعلاً .

زايتسف : الآن سأكتب لك العلاج ...

(يقطع من دفتر المحطة قصاصة صغيرة من الورق ، ويجلس ويكتب) Sic transit[5] ... اثنين دراخما[6] ... Glori mundi[7] ... أونصه[8] واحدة ... Aquae destillatae[9] ... واثنتين grain[10] ...

وسوف تتناولى هذا الدواء المستحضر فى شكل مسحوق ... ، ثلاث مرات فى اليوم ...

جوسيف : بالماء أو بالخمر ؟

زايتسف : بالماء

جوسيف بالماء المغلى ؟

زايتسف نعم ، بالماء المغلى ؟

جوسيف اسمح لى أن أقدم لكم خالص الشكر والامتنان يا دكتور ...

****